

الحركة الوطنية الهندية

يعود تاريخ الحركة الوطنية في الهند الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الا ان جذورها تعود الى ثلاثينيات القرن المذكور، اذ شهد مسرح الهند السياسي ظهور تنظيمات ساهمت في نمو الحركة القومية الهندية، ابرزها جمعية براهما التي نظمها رام موهان روي عام 1828، ورام موهان روي الهندوسي كان زعيم الحركة الرامية الى إعادة بناء الهند من جديد، ويطلق عليه أبو القومية الهندية وأبو الهند الحديثة. ومارست جمعية براهما نفوذاً كبيراً على الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية في الهند. ومن التنظيمات الأخرى التي ساهمت في نمو الحركة القومية الهندية، جمعية اصحاب الاراضي التي تأسست في كلكتا عام 1838، تلتها في عام 1843 جمعية الهند البريطانية في البنغال، والجمعية البريطانية الهندية التي أنشئت عام 1851، والجمعيات التي نظمت في كلكتا ومدراس وبومباي، وجمعية الاريين التي تأسست في 1875 من قبل سومي داياناندا، كما تأسست في حوالي عام 1852 بعض الاتحادات التجارية كاتحاد بومباي، واتحاد مدراس الوطني، واتحاد بونا. وانحسرت اهداف هذه التنظيمات في حماية وتعزيز المصالح الطبقية كما وجهوا بعض الاهتمام بالشؤون التي تتعلق برفاهية ومصحة الشعب الهندي لان اصحاب الاراضي والتجار قد عدو انفسهم انذاك قادة المجتمع الهندي لذا رأوا من جانبهم الدفاع عن مصالحه والتكلم نيابة عنه. كما ساعدت هذه التنظيمات بالرغم من اهدافها الطبقية المحدودة بشكل مباشر او غير مباشر على تطوير الروح الوطنية في الهند وانتشار الوعي السياسي، ففي سنة 1852 طالب الاتحاد الهندي البنغالي الحكومة البريطانية لأول مرة وجوب مشاركة الهنود في الادارة البريطانية كما اسست بعض الجمعيات الطلابية التي تشكلت من طلائع الطلبة الذين درسوا في بريطانيا مثل جمعية لندن الهندية، واتحاد الهند الشرقية¹.

¹ ليلي ياسين حسين، حزب المؤتمر الوطني الهندي 1919-1930 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، 1983، ص11-12.

رأى الانجليز انه يجب على الهنود تعلم اللغة الإنجليزية ومعرفة الثقافة الإنجليزية، لان ذلك من وجهة نظرهم ستمكن الهنود العاملين في خدمة الحكومة الإنجليزية من تقديس الاعمال، لانهم سيكونون اعرف بعادات وأساليب الانجليز، وبذلك استطاع الانجليز على نشر ثقافتهم في الهند، فتكونت فئة من المتعلمين الهنود الذين اصبحوا طليعة الحركة الوطنية الهندية، ووجدوا في التقاليد الهندية والطقوس الدينية اسباباً في التحرك الوطني. وبدافع من المثقفين الهنود أسست جامعات هندية عام 1856 في كلا من كلكتا، بومباي، ومدراس. واول انفجار هندي ضد الانجليز كان بين الجنود الهنود في جيش الاحتلال البريطاني، ففي 1824 بدأت حركة تمرد من قبل الجنود الهنود في البنغال، عندما طلبت منهم القيادة الانجليزية الذهاب الى بورما².

تهذيب 1857

ظهرت اهداف البريطانيين منذ بداية حكمهم للهند في استغلال خيرات البلاد من خلال شركة الهند الشرقية البريطانية التي اتسمت بالمظالم والفساد واخذ الرشوة، وفرض ضرائب باهضة على الهنود، وسيطر التجار البريطانيين على الأسواق والارباح، كما حاربوا الصناعات الهندية واجبروا العمال على العمل في الشركة باجور زهيدة، فاخذت أحوال الهند بالتدهور.

ووضع البريطانيون خطة لتحويل عقيدة الهنود الى المسيحية البروتستانتية، بتوزيع الكتب والمنشورات الدينية مجاناً من قبل المبشرين، وهي مليئة بالطعن في اديان الهند وزعماء هذه الديانات، كما فتح المبشرون المدارس التبشيرية بمساعدة الشركة، وفتحو مدارس

² عبد الرزاق مطلق الفهد، دراسات في حركات التحرر في العالم الثالث، جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1985، ص228.

لتعليم البنات، الامر الذي أدى الى ثورة العلماء المسلمين ضدهم، فالبريطانيون عملوا على خطة موضوعة لزراعة العقائد الهندية وتحويل الهنود الى المسيحية³.

بالرغم من ان البريطانيين خلال هذه الحقبة تقادت المساس بالعقائد الدينية والتقاليد والاعادات الاجتماعية، الا عندما تتعارض تلك العادات والتقاليد مع مصالحهم في الهند، مثل تغييرهم للقوانين الاسلامية، وطرد القضاة المسلمين من وظائفهم وتعين قضاة بريطانيين يمارسون القضاء على اساس من قوانين تخدم مصالح الشركة بدلاً من احكام الشريعة الاسلامية، الا ان التغيرات التي استحدثها البريطانيون في الهند في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية احدثت تخلخلاً في ميزان القوى بين الطائفتين، فكان من نتائجه احياء اسس الصراع بينهما. وفي الوقت نفسه عمل البريطانيون على اعادة توزيع الاعمال المختلفة في البلاد بما يتلاءم مع المناطق ذات الاغلبية الهندوسية، تلاءم الهندوس مع هذه التغيرات بينما رفضها وابتعد عنها المسلمون الذين رفضوا (وهم اصحاب الحكم) التعاون مع البريطانيين الساعين للقضاء على حكمهم⁴. ووجد المسلمون في هذه السياسة خطراً على العقيدة الإسلامية، فأخذوا بتنبية الناس بمختلف الوسائل، ومن اهم العلماء الذين قاموا بجهود كبيرة لتنبية المسلمين الى الخطر والى التمسك بدينهم (شاه ولي الله الدهلوي) (1704-1763)، و (سيد احمد بريلوي) (1786-1831) الشهير باسم (سيد احمد الشهيد) الذي دعا الى الجهاد لإنقاذ المسلمين من هيمنة الشيخ والاستعمار البريطاني، وكان يحرص على تطهير الدين الإسلامي من الخرافات والبدع والدعوة الى

³ ميلاد أ. المقرحي، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، الهند والباكستان وجنوب شرق اسيا، ج2، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 2001، ص122.

⁴ كاظم هيلان محسن السهلاني، الصراع الهندي-الباكستاني حول ولاية كشمير 1947-1949، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، 2001، ص15-16.

الجهاد، كما اتصل بالهندوس من اجل الاتحاد مع المسلمين لمواجهة الاحتلال البريطاني، وقتل سيد احمد في احدى معاركه مع السيخ⁵.

طلب من الجند الهنود عام 1857 في قاعدة ميروت البريطانية ان يقطعوا باسنانهم غطاء الخراطيش الملطخ بدهن البقر والخنزير، واثار ذلك مشاعر المسلمين والهندوس وثار الجند وقتلوا ضباطهم البريطانيين، وانطلقوا الى دلهي وسيطروا عليها واصلوا الثورة، وتم اختيار الامبراطور المغولي سراج الدين محمد بهادور شاه قائداً اعلى للثورة، وكان الرجل طاعن في السن ويبلغ 90 عاماً، فلم يستطع قيادة الثورة⁶، استمرت الثورة أربعة اشهر منذ 11 أيار 1857 حتى 19 أيلول 1857، واقتصرت في دلهي وشمال ووسط الهند وجنوب، وبعض المناطق الحدودية مثل البنغال، وبعد ان ظهرت بوادر فشلها ترك الامبراطور دلهي، وكان لهذا التصرف غير المسؤول اثره السلبي في نفوس الثوار من الهندوس والمسلمين، كما قامت القوات البريطانية بالتعاون مع السيخ بقتل مئات الألوف ولاسيما من المسلمين، واحرقوا المدن وقتلوا الاسرى، ولان الثورة لم تقم في وقت واحد، فان ذلك أتاح للبريطانيين فرصة التفرغ لمنطقة بعد أخرى. ولم ينته عام 1857 حتى تمكن البريطانيون من السيطرة على الموقف في كل الهند⁷. تعد ثورة 1857 في الهند اهم الثورات واطورها، وفي الوقت نفسه كانت اخر ثورة بهذا المستوى. وكان من أسباب فشل الثورة عدم تعاون معظم الامراء المحليين مع الثورة، ولم يكن هناك تنسيق بين الهندوس والمسلمين، كما بقي المتقنين بمعزل عن الثورة⁸، ومن اهم أسباب اخفاق الثورة لم يكن لها تنظيم فعال، ولا قيادة موحدة، ولا استعداد، وعدم شمولها للبلاد كلها، وعدم قيامها في وقت واحد، وعدم اتفاق زعماء الثورة على خطة محددة، ومن الأسباب الجوهرية التي أدت الى

⁵ ميلاد أ. المقرحي، المصدر السابق، ص123-124.

⁶ عبد الرزاق مطلق الفهد، المصدر السابق، ص228-229.

⁷ ميلاد أ. المقرحي، المصدر السابق، ص126.

⁸ عبد الرزاق مطلق الفهد، المصدر السابق، ص229-230.

فشل الثورة انضمام السيخ الى البريطانيين ضد إخوانهم الهنود، وفي خيانة واضحة للبلد وقف الجنوب لاسيما نظام حيدر اباد الى جانب البريطانيين، وكذلك الشمال الغربي حيث تقع البنجاب. اما الأسباب الخارجية التي ساعدت على اخفاق الثورة تدفق الجنود الانجليز آنذاك مصادفة، اذ كان الكثير منهم ذاهباً الى الصين بسبب حرب الافيون الثانية في الصين (1856-1860)، وعندما اندلعت ثورة 1857 نزلوا في الهند لاختمادها، وفي الوقت نفسه استطاعت بريطانيا ان تمنع وصول أي مساعدة خارجية للهند، بسبب تحكمها في البحار⁹.

شكل عام 1857 نقطة تحول كبيرة في مجرى امتداد السيطرة البريطانية من جهة والعلاقات الهندوسية الاسلامية من جهة اخرى. كان على اثره نقل ادارة الحكم في الهند من شركة الهند الشرقية البريطانية إلى الارتباط بالتاج البريطاني لديرها عبر نائب للملك. ونتيجة لما ادركه البريطانيون من الاثر الخطير في حالة الاتفاق بين المسلمين والهندوس، لجأت الادارة البريطانية الجديدة إلى اتباع السياسة الاستعمارية التقليدية (فرق تسد) بين الطوائف لاسيما بين الهندوس والمسلمين¹⁰.

أصبحت الهند تحت الحكم البريطاني المباشر، ولترضية القوى الوطنية قامت بريطانيا ببعض الإصلاحات المالية والإدارية، وقامت بإنشاء معامل لصناعة القطن والشاي، وإنشاء جامعات في كلكتا وبومباي ومدراس، واتخذت الحكومة البريطانية الخطوة الأولى بإنشاء مجلس تشريعي هندي في 1861¹¹.

ساهمت ثورة 1857 في نمو وتطور القومية الهندية، اذ عمل الكثير من الافراد والهيئات على نشر الفكرة القومية، وأثناء عقدين من الزمن بدأت الفكرة تأخذ طابعاً

⁹ ميلاد أ. المقرحي، المصدر السابق، ص127-128.

¹⁰ كاظم محسن هيلان السهلاني، المصدر السابق، ص16.

¹¹ عبد الرزاق مطلق الفهد، المصدر السابق، ص230.

تنظيماً، وكان التمهيد المباشر للمؤتمر القومي الهندي هو جمعية كلكتا الهندية التي تأسست عام 1876، وفي عام 1883 عقد المؤتمر الوطني في كلكتا تحت إشراف ورعاية الجمعية¹².

بعد ثورة 1857 وانتقال الحكم الى التاج، بدأ الشعب الهندي يطالب بالإسهام في الحكم، لاسيما وإنَّ الحكومة البريطانية أعطت وعداً عام 1861 لإقامة نظام حكم ديمقراطي من خلال إنشاء مجلس تشريعي في الهند، لهذا أعلن نائب الملك عن تشكيل حكومة محلية، إلا إنها كانت مجرد وعود، ولما كان المتعلمون من الشعب الهندي يشعرون بأن المجلس التشريعي الذي شكلته بريطانيا لم يعبر بشكل واقعي عن رأيهم في تدبير الأمور، بدأ التذمر يظهر في أوساط الفئة المثقفة، ثم انتشر الى أوساط واسعة من الشعب وتحول الى هياج عام بين أوساط الجماهير، وفي عام 1885 وصلت تقارير الى الإدارة البريطانية في الهند، أشارت الى إنَّ ثورة دامية على وشك الاندلاع بالهند مثل تلك التي انفجرت عام (1857)، ولما كانت السياسة البريطانية تسعى الى امتصاص النقمة الشعبية من خلال منح الحريات وتشكيل الاحزاب السياسية¹³، جاب حزب المؤتمر القومي الى الوجود بمحاولات هندية بريطانية مشتركة، واخذ المبادرة في الدعوة لعقد مؤلف بريطاني الكسندر اوكتافيان هيوم بتشجيع من الحاكم العام في الهند دوفرين¹⁴. وعلى إثر ذلك أنبثق (حزب المؤتمر القومي الهندي) عام 1885، وكان هدف السياسة البريطانية من وراء تأسيس هذا الحزب دمج جميع القوميات التي تؤلف الشعب في قومية واحدة، فضلاً عن تمتين الروابط بين بريطانيا والهند، الأمر الذي أبعد المسلمين عن الطرفين، وضم الحزب النخبة من الطبقة المثقفة، وكانت تعاليم الحزب معتدلة ومتواضعة، كما أكدت الولاء للحكومة البريطانية لحين اكتساب الخبرات السياسية من الإدارة البريطانية حتى تصبح الهند مؤهلة لإدارة نفسها وتضمنت مطالبه بالاتي:

أ- إجراء الإصلاحات الادارية.

¹² عالية عباسي وامينة هندة، المهاتما غاندي والمقاومة السلمية في الهند (1915-1947م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجبالي بونعامة خميس-مليانة، الجزائر، 2016، ص17.

¹³ صلاح خلف مشاي الابراهيمى، حكم التاج 1858-1947، نظام التعليم الالكتروني، كلية التربية للعلوم الإنسانية،

جامعة بابل، تاريخ النشر 2017/3/14، <http://humanities.uobabylon.edu.iq>

¹⁴ ميلاد أ. المقرحي، المصدر السابق، ص152.

ب -توسيع أشتراك الهنود في الإدارة مع تخفيض العنصر الاجنبي فيها.

ت -تخفيض الضرائب.

ث -الفصل بين السلطات.

ج -حماية المصالح الهندية في الخارج.

ح -تحسين الإوضاع الاقتصادية.

خ -رفع المستوى المعيشي.

كما حرص حزب المؤتمر على أن يكون حزباً ممثلاً لكل القوميات والديانات، وأكد على انه ليس حزباً هندوسياً في اهدافه وفي سياسته، ولكن يلحظ أنّ مؤسسيه كانوا جميعهم من الهندوس لأن المسلمين تحاشوا أن يعملوا معه في بداياته الاولى¹⁵.

أمّا المسلمون الهنود فشكلوا رافداً خاصاً في الحركة الوطنية الهندية، ووجدت الحركة الوطنية الهندية الاسلامية رائداً لها هو (سيد احمد خان)، الذي حاول ان يمزج بين تعاليم الاسلام والقوانين الحديثة، وأنشأ جمعيات عدة منها (جمعية الهنود الوطنية) و(جماعة الثقافة المحمدية) و(جمعية الدفاع الاسلامية لعموم الهند) و(جمعية الدفاع المحمدية الانكليزية الشرقية لعموم الهند)، وفي عام 1883 اسهمت جهوده بتشكيل (جمعية الخدمات المدنية)، لمساعدة الطلبة المسلمين على الذهاب الى بريطانيا ليشاركوا في الامتحانات التي تجرى هناك، والتي تؤهلهم لتبوء مراكز مهمة في الحياة المدنية، وعلى الرغم من فشل الجمعية في تحقيق أهدافها، الا ان أفكار (سيد احمد خان) أسهمت في بلورة فكرة التنظيم السياسي الهندي الخاص بالمسلمين عام 1906 الذي عرف بأسم (حزب الرابطة الاسلامية)، التي أصبحت الحزب السياسي الرئيس الذي مثل المسلمين في الهند، وكان لهذا الحزب هدفان رئيسان هما الولاء للحكومة البريطانية، وصيانة مصالح المسلمين¹⁶.

تدمير مصنعك 1905

تعد ثورة البنغال دلالة على بداية تطور الوعي الوطني في الهند في بدايات القرن العشرين، ويمكن أن تعزى أسباب هذه الثورة الى عوامل داخلية واخرى خارجية:

¹⁵ صلاح خلف مشاي الابراهيمى، المصدر السابق

¹⁶ المصدر نفسه.

أ- العوامل الداخلية:

- 1- تحول الهند الى مستعمرة زراعية لبريطانيا الصناعية تزودها بالمواد الخام وتتيح الاسواق أمام البضائع البريطانية الصناعية.
- 2- على الرغم من الاجراءات كلها التي أتخذها الحكم البريطاني المباشر، إلا إن ذلك لم يمنع من استمرار حالة الفقر وحصول المجاعات في الهند، لاسيما في الريف، الأمر الذي دفع الالاف من الفلاحين الى الهجرة الى المدينة طلباً للعمل.
- 3- على الرغم من التطور الصناعي الذي شهدته بريطانيا وانعكاسه على تطور الصناعة الهندية برؤوس أموال بريطانية، ونمو الطبقة العاملة، إلا إنها عانت من سوء الاحوال المعاشية والاجتماعية وحرمانهم من حقوقهم السياسية مثل تشكيل النقابات، فضلاً عن تصفية الصناعات الحرفيين، مما أدى الى انتشار البطالة على نطاق واسع نتيجة ادخال الآلات الصناعية.

ب- العوامل الخارجية:

- 1- تسرب الافكار الثورية والاشتراكية الى الهند، ولاسيما بعد قيام الثورة في روسيا عام 1905، الأمر الذي أسهم في تطور الوعي السياسي الوطني الهندي ونموه.
 - 2- انتصار اليابان على روسيا في حرب عام 1905.
- كان إقليم البنغال أول إقليم سيطر عليه البريطانيون، وكانت هناك صعوبة حكم هذا الاقليم الواسع، حينها رأى اللورد (كرزن) ضرورة تقسيم الاقليم الى ولايتين غربية وشرقية في 1 أيلول 1905، فشرع الهنود بالإحتجاج، بسبب إن اللورد كرزن يعمد الى شق الهندوس عن المسلمين في البنغال، وإنه منح المسلمين الولاية التي أكثريتها مسلمة، وإن هذا العمل أضعف روح الوطنية الهندية، ولاسيما إن إقليم البنغال هو أقوى مركز لحزب المؤتمر الوطني الهندي، وقد أتخذ الاحتجاج الاول ضد تقسيم البنغال اولاً طابع التماس وقع من قبل (70.000) شخص وبمجرد جمع تواريخ هؤلاء حصل تجمع سرعان ما تحول الى مظاهرات ضخمة، وشرع زعماء الحركة الوطنية بإقامة تجمعات جماهيرية في بعض المدن، والقى الخطباء كلمات وطنية حماسية، وفي كلكتا التي حصلت بها إحدى التجمعات تقرر مقاطعة البضائع البريطانية، ثم تطورت الإنتفاضة الى إضراب عام أسهم فيه أبناء الشعب كافة.

حينها شرعت الحكومة البريطانية باعتقال قادة الانتفاضة، ومارست التهديد ضد العناصر الأخرى، وقامت بتفتيش البيوت، ومارست أيضاً أسلوب الإقناع والرشوة لبعض الوجهاء الذين أدوا دوراً في إضعاف وحدة الهندوس والمسلمين.

يبدو أنّ فكرة التقسيم كانت جزءاً من السياسة الجديدة التي بدأت تنفذها الإدارة البريطانية، لإضعاف الحركة الوطنية الهندية وزرع بذور الخلاف بين حزب المؤتمر وحزب الرابطة الإسلامية، إذ وجدت في المسلمين خير وسيلة يمكن استخدامها لتنفيذ سياستها (فرق تسد)، إذ عد المسلمون هذا التقسيم بداية لإنشاء ولايات يحكمونها بأنفسهم بعيداً عن سيطرة الاكثرية الهندوسية، في الوقت الذي عدّه الهندوس تشجيعاً للمسلمين على المطالبة باستقلال مناطق أخرى تحتوي على أكثرية إسلامية، ولكن بحلول عام 1911 ألغت السلطات البريطانية في الهند قرار تقسيم البنغال، كما تم نقل العاصمة من كلكتا الى نيودلهي الأمر الذي عدّه حزب الرابطة الإسلامية رضوخاً من البريطانيين لمطالب حزب المؤتمر، وإخراجه من دائرة ولائه للبريطانيين¹⁷.

من المراحل المهمة في تاريخ الحركة الوطنية الهندية مرحلة القيادات القومية الرائدة، ويعد ج.ك. جوكال (1866-1915) من ابرز زعماء المؤتمر، وكان يمثل النزعة المعتدلة التي ترى العدل في بريطانيا وتقبل طوعاً امتياز الثقافة الإنجليزية، وامن بالتعاون مع البريطانيين، واتبع سياسة التدرج، الا انه لم يتردد في انتقاد السياسة البريطانية في الهند وشجب تقسيم البنغال عام 1905. وكانت سيطرة الهنود المعتدلين مثل جوكال تواجه تحديات من جانب جماعة الوطنيين المتطرفين. وكان الزعيم الأول للقومية الهندية المتطرفة ب.ج. تيلاك (1856-1920)، وهو صحافياً متحمساً لوطنه الهند، ويجمع بين فكرة تجديد الهند وفكرة القومية الهندية، ودعا تيلاك مع عدد من جماعة المتطرفين الى احياء الهندوسية، وهذه أبعدت الكثير من المسلمين عن الحركة، كما ان تيلاك كان مناصراً لاعمال العنف في النضال القومي. ونتيجة لهذه القومية الثورية المبنية على الدين القومي ظهر مفهوم جديد يركز على قومية مناضلة وثورية قائمة على دين دون حدود وكان يتزعمه اوريندو غوش (1872-1950)، وكان يهدف ويتطلع الى جعل المؤتمر أداة عمل

¹⁷ صلاح خلف مشاي الابراهيمى، المصدر السابق

ثوري. وتميزت هذه المرحلة من تاريخ الحركة القومية الهندية بالتطرف والانفصالية مما أدى الى انقسام المؤتمر عام 1907 في اجتماعه الذي عقد في سورات، وابعاد تيلاك عن المؤتمر وتشكيله حزباً متميزاً، الا ان قيادة حزب المؤتمر بقيت في يد المعتدلين. واثناء الحرب العالمية الأولى غدت الحركة القومية اكثر قوة واتساقاً، وفي دورة 1916 في لاكنو تم النقاء المعتدلين مع المتطرفين، وفي المؤتمر ذاته تم إقرار ميثاق لاكنو للتعاون بين حزب المؤتمر القومي الهندي والرابطة الإسلامية. وطالب حزب المؤتمر عام 1919 السلطات البريطانية باتخاذ إجراءات جديدة وسريعة لاقامة حكومة كاملة المسؤولية في الهند تنفيذاً لمبادئ الحكم الذاتي¹⁸.

بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية الهندية بعد الحرب العالمية الأولى عرفت بمرحلة غاندي التحررية، ففي الوقت الذي ظهر اهتياج في إقليم البنجاب وأعلنت حكومة الإقليم الاحكام العرفية واتخذت إجراءات شديدة جداً لاختماد ما عدته عصياناً وثورة، وزادت مذبحه جاليان والاباغ الشعب الهندي غضباً وحولت الهياج الى حركة قومية عظمى، تولى المهاتما غاندي قيادة البلاد وبدأ حركة عدم التعاون التي دعا اليها، وحركته مبنية على ان سلطان البريطانيين في الهند قائم على تعاون أهلها جميعهم بمختلف طبقاتهم، فان سحب ذلك التعاون لايد ان يفضى بالضرورة الى انهيار تلك الحكومة. ومرت حركة عدم التعاون التي قادها غاندي بثلاث مراحل: الأولى 1920-1924 عندما استحدثت الحركة بالتحالف مع زعماء حركة الخلافة وجعل من الحركة اضطراباً شعبياً ذا قوة عارمة. وبدأت الفترة الثانية بزحف الداندي وحركة مقاطعة الملح 1929-1932، وكانت المرحلة الثالثة حركة المطالبة أي حركة غادروا الهند في 1942¹⁹.

بدأ غاندي تجربة المقاومة اللاعنفية في مواجهة سياسة التمييز العنصري التي كانت قائمة في جنوب أفريقيا، و عاد إلى الهند وهو يحمل بين جنبيه عبء القضية الهندية، وأعتكف في منزله أياما عديدة يفكر في الاستراتيجية المثلى التي يمكن بها مواجهة قوة الاحتلال البريطاني. وقرر بعد التفكير العميق القيام بحملة لا عنفية ضد السلطات

¹⁸ ميلاد أ. المقرحي، المصدر السابق، ص154-158.

¹⁹ ك.م. بانيكار، اسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة احمد خاكي، دار المعارف، مصر، 1962، ص281.

البريطانية، بدأت بقانون احتكار الملح المفروض من قبل السلطات البريطانية وما تبعه من مسيرة لكسره، وكانت المسيرة بمثابة الشرارة التي أدت إلى انطلاق الثورة اللاعنافية في شتى أرجاء شبه القارة الهندية. اسس غاندي ما عرف في عالم السياسة بـ(المقاومة السلمية أو فلسفة اللاعنف (الساتيا جراها)، وهي مجموعة من المبادئ تقوم على أسس دينية وسياسية واقتصادية في آن واحد ملخصها الشجاعة والحقيقة واللاعنف، وترمي إلى إلحاق الهزيمة بالطرف المعتدي عن طريق الوعي الكامل والعميق بالخطر المحدق وتكوين قوة قادرة على مواجهة هذا الخطر باللاعنف²⁰.

صوت حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية عام 1920 متبنين برنامج غاندي في اللاتعاون اللاعنفي ابتغاء نيل الحكم الذاتي. فسعى غاندي عبر سياسة اللاعنف في مواجهة الحكم البريطاني إلى إصابة بريطانيا في تجارتها الخارجية والترويج لتصنيع وبيع المنتجات اليدوية المحلية، من أجل تحسين مستوى المعيشة في القرى، وإيجاد تضامن بين المدن والارياف بتشجيع أهالي المدن على شراء الخادي وهو الزي الذي نسج وغزل في الهند بالوسائل التقليدية واستعمله غاندي لمحاربة المنسوجات البريطانية، كما هدف غاندي إلى إعادة الاعتبار للعمل اليدوي، واستحسن مثال الاكتفاء الذاتي للقرية، وهكذا كان الانسان الفرد وليس المردود الاقتصادي هو مناط همه المركزي.

والسياسة الأخرى التي استخدمها غاندي ضد الاحتلال هي الصوم، إذ صام مدة 21 يوماً لتقريب بين الهندوس والمسلمين، وصام لدى اضراب عمال المطاحن في احمد اباد. ومن القضايا الأخرى التي اعتنقها غاندي تحسين حال المنبوذين -أبناء الطوائف الدنيا- وعد وضعهم المزري سببة في جبين الهند²¹.

شهدت مرحلة العصيان المدني ثلاث حملات من عدم التعاون وعدم العنف، في عام 1922 عندما طالب بعدم دفع الضرائب حتى تطور الامر وخرجت الحركة عن نطاقها السلمي بحرق مركز للشرطة توفي على اثرها 22 شرطياً، وانتهت باعتقال الالاف من متطوعي المؤتمر، وسجن غاندي بتهمة التحريض على الثورة. استؤنف العصيان

²⁰ ياسين محمد حمد، دور اللاعنف في حركة التحرر الوطني الهند انموذجاً، مجلة دراسات دولية، العدد 40، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، 2009، ص82-83.

²¹ المصدر نفسه، ص86-87.

المدني في 21 اذار 1931 بحملته الثانية والتي عرفت بمسيرة داندي لتحدي قانون الملح، ودامت المسيرة 24 يوماً وخرج وراء غاندي الالاف، وضربت السلطات البريطانية بشدة هذه المسيرة واطلقت النار عليهم²².

بقي غاندي الزعيم الروحي للهند، وتسلم جواهر لال نهرو عام 1929 رئاسة المؤتمر. وبعد ان تكلفت حملات العصيان المدني بالنجاح أصدرت السلطات البريطانية قانون حكومة الهند 1935 الذي قدمت فيه تنازلات كبيرة امام المطالب الهندية. وكانت الحركة القومية أحرزت تأييداً شعبياً كبيراً وواسعاً بفضل جهود غاندي، وبدأت تطالب بالاستقلال الكامل، وفي الوقت ذاته اخذت الرابطة الإسلامية تتطور منفصلة عن الحركة القومية لحزب المؤتمر بقيادة محمد علي جناح، وعملوا على انه ليس بالإمكان فصل الدولة عن الدين. وفي مؤتمر الرابطة في لاهور 1940 تمت الموافقة على اتفاق أعضاء الرابطة على إقامة دولة الباكستان المنفصلة، وكانت فكرة التقسيم لامتين كارثية بالنسبة لزعماء حزب المؤتمر لاسيما غاندي الذي عارض بشدة فكرة التقسيم²³.

حدث الكثير من الصدامات بين المسلمين والهندوس نتيجة لتقسيم الهند بينهما، مشاكل بسبب الدستور، وأخرى بسبب رئاسة الوزراء، حتى اعلنت الموافقة على فكرة التقسيم يوم 3 حزيران 1947، من قبل نهرو ممثل الهندوس وجناح ممثل المسلمين، والسردار بالدين سنغ ممثل الشيخ، واشترط حزب المؤتمر تقسيم البنغال والبنجاب حسب كثرة السكان وقبل جناح الامر، وتم استقلال الدولتين في 15 اب 1947، وأقيمت دولة الباكستان دولة إسلامية برئاسة جناح، ودولة الهند بزعامة نهرو²⁴.

²² غالية عباسي وامينة هندة، المصدر السابق، ص46-50.

²³ ميلاد أ. المقرحي، المصدر السابق، ص161-164.

²⁴ عبد اللطيف الصباغ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، (د.ن)، (د.ت)، ص65.

قائمة المصادر

- 1- صلاح خلف مشاي الابراهيمى، حكم التاج 1858-1947، نظام التعليم الالكتروني، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، تاريخ النشر 2017/3/14، <http://humanities.uobabylon.edu.iq>
- 2- عبد الرزاق مطلق الفهد، دراسات في حركات التحرر في العالم الثالث، جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- 3- عبد اللطيف الصباغ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، (د.ن)، (د.ت).
- 4- غالية عباسي وامينة هندة، المهاتما غاندي والمقاومة السلمية في الهند (1915-1947م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجبلي بونعامة خميس-مليانة، الجزائر، 2016.
- 5- ك.م. بانكار، اسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة احمد خاكي، دار المعارف، مصر، 1962.
- 6- كاظم هيلان محسن السهلاني، الصراع الهندي-الباكستاني حول ولاية كشمير 1947-1949، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، 2001.
- 7- ليلى ياسين حسين، حزب المؤتمر الوطني الهندي 1919-1930 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، 1983.
- 8- ميلاد أ. المقرحي، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، الهند والباكستان وجنوب شرق اسيا، ج2، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 2001.
- 9- ياسين محمد حمد، دور اللاعنف في حركة التحرر الوطني الهند انموذجاً، مجلة دراسات دولية، العدد 40، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، 2009.